المحاضرة الثالثة: المداخل و النماذج النظرية المفسرة لصعوبات التعلم

نظرا حداثة البحث في مجال صعوبات التعلم تم دراسته من خلال أنظمة متعددة، و مع ذلك سيطرت ثلاثة إتجاهات على التوجهات البحثية و النظرية في هذا المجال : الطبي، المعرفي و السلوكي؛ و التي انبثقت منها مجموعة من النظريات و النماذج التي حاولت تفسير صعوبات التعلم؛ و التي نعرضها في الآتي

أوّلا: النموذج الطبي (النورولوجي)

يقوم هذا النموذج على فكرة أن المشكلة تعد فيسيولوجية في أساسها حيث ترجع إلى قصور في الأداء الوظيفي للمخ، و أن الحل إنما يكمن في العلاج الطبي، و لكن ذلك لا يلغي التدخلات الأخرى حيث يكون العلاج الطبي مكملا لها و ليس بديلاً عنها

و يكاد يتفق أغلب المنظرون في النموذج النورولوجي على أن صعوبات التعلم تنتج من إصابات المخ المكتسبة، و عدم توازن قدرات التجهيز المعرفي بين نصفي المخ و العوامل الكيميائية و الحيوية

- فإصابة المخ تؤدي إلى عدم القدرة على تنظيم أو تكامل و تركيب المعلومات اللازمة للمهارات الأكاديمية مما يؤدي بدوره إلى حدوث صعوبة في التعلم.

- و بخصوص عدم توازن قدرات التجهيز المعرفي بين نصفي المخ، فقد أكدّ مؤيدو هذا الإتجاه على أن صعوبات التعلم تنتج عن عدم توازن قدرات التجهيز المعرفي لدى الطفل من كونها نتيجة لعيوب معرفية عامة حيث إن كلا من النصف الكروي الأيمن للمخ يختص بالمعالجة المتزامنة للمعلومات البصرية و المكانية، و النصف الكروي الأيسر يختص بالمعالجة المتتابعة للمعلومات اللغوية، و التكامل بين النصفين مطلوب و ضروري لعملية التعلم، و الإضطراب الوظيفي في أي منهما يسبب حالة عدم التوازن و بالتالي صعوبات التعلم **(سليمان إبراهيم، 2010 ص 64)**

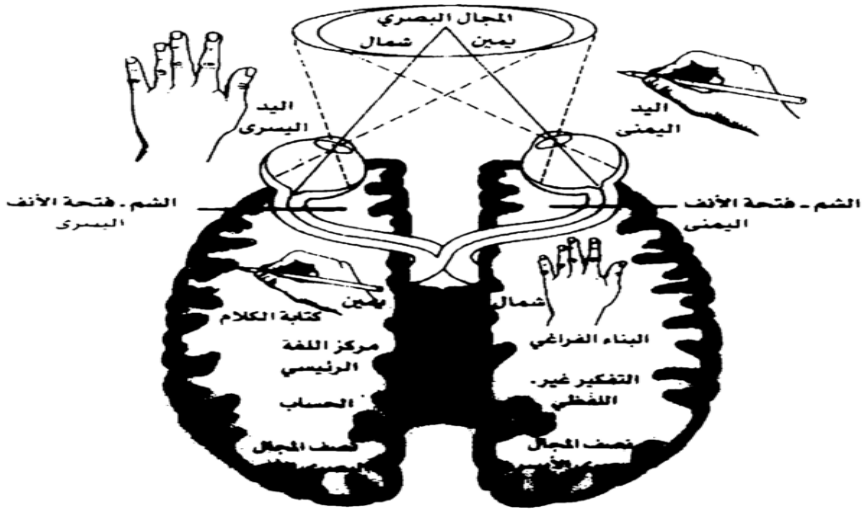

شكل توضيحي للتخصص الوظيفي للنصفين الكويين بالمخ

و يرى بعض الباحثين في حالة قيام نصف المخ لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، بنشاط معين فإنهم يواجهون صعوبة في توزيع الجهد لنشاط آخر يتداخل مع الجانب نفسه من المخ؛ و لكن مشكلة الأطفال ذوي صعوبات التعلم تبلغ من الغموض حداً كبيراً فقد ذكر سليمان إبراهيم (2007) العديد من الأسباب المؤدية إلى صعوبات التعلم ؛أهمها: سيطرة وظائف أحد النصفيين الكرويين للمخ على الآخر و الإضطراب في وظائف نصفي المخ المعرفية و الإنفعالية.

و على الرغم من المزايا التي قدمها أصحاب النظرية النورولوجية إلاّ أن التفسيرات التشخيصية في ظل هذه النظرية تحتاج إلى خبرات إكلينيكية ماهرة و مدربة، الأمر الذي يصعب توفيره بالنسبة للأعداد المتزايدة من ذوي صعوبات التعلم و الاضطرابات المخية الوظيفية الأخرى

ثانيا: النموذج السلوكي

تتمثل الفكرة الأساسية في النموذج السلوكي في أن صعوبات التعلم إنما تعكس ذلك التدريس غير المناسب الذي يكون التلميذ قد تلقاه، و من المفترض أن السلوك الأكاديمي (الإستجابات للمهام الأكاديمية) شأنه في ذلك شأن السلوك الإجتماعي، فما هو إلا استجابة للمواقف و النواتج، و بالتالي فإن الاتجاه السلوكي يفترض أن السلوك الأكاديمي و الإجتماعي على حد السواء يتم تعلمه من التغذية الراجعة البيئية، و على ذلك فإن الأسلوب الذي يتم بموجبه تغيير السلوك أو علاج أي قصور تعلمي إنما يتمثل في تغيير نوعية تلك المهام التي يتم تقديمها للتلميذ فضلا عن التغذية الراجعة على استجابات التلميذ لتلك المهام (وخاصة النتائج المترتبة على السلوك)

و بذلك، فحسب هذا النموذج فإن صعوبات التعلم عبارة عن سلوكا مشكلاً، يتجلى في فشل التلميذ في الحصول على مستوى عادي أو معياري للأداء في المجال الدراسي، يتعين التغلب عليه برفع مستوى تحصيله إلى المستوى المقبول المتفق عليه تربوياً، و يتم ذلك من خلال صياغة الصعوبة في التعلم صياغة إجرائية تسهل التعامل العلاجي معها **(سيد سليمان، 2000 ص 124)** بتصرف

وعلى هذا الأساس فإن التركيز الذي يوليه النموذج السلوكي للأمر لا يكون على المتعلم بقدر ما يكون على البيئة التي تحيط به و خاصة على تلك المهام التي يجب عليه أن يتعلمها، و وفقا لذلك فإن الاتجاه السلوكي لصعوبات التعلم لا يركز على تلك الأسباب البيوفيزيقية للمشكلات، أو على العالج غير المباشر الذي يتم تقديمه لها كتحسين و تنمية العمليات السيكولوجية الأساسية مثلا؛ و إنّما يركز على العلاج الصريح و المباشر لتلك المشكلات الأكثر وضوحا التي يعاني منها التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، و التي تتمثل في أوجه القصور الأكاديمية و الإجتماعية – السلوكية. **(هالاهان، كوفمان، لويد و ويس، 2007 ص 439)**

ثالثا: النموذج المعرفي (تجهيز و معالجة المعلومة)

إن اتجاه تجهيز و معالجة المعلومات كأحد المكونات الهامة في علم النفس المعرفي في تفسير السلوك الإنساني على اختلاف مظاهره، و مجالاته من أفضل الاتجاهات لفهم الكثير من جوانب النشاط العقلي المعرفي المرتبط بهذا السلوك، فهذا الإتجاه يهتم بدراسة كيفية اكتساب المعلومات و تخزينها و استعادتها عند الضرورة كما يهتم بدراسة الانماط التي يستخدمها الفرد في معالجة المعلومات.

و يسعى هذا النموذج إلى فهم سلوك الإنسان حين يستخدم إمكاناته العقلية و المعرفية أفضل استخدام، فعندما تقدم للفرد معلومات فيجب عليه انتقاء عمليات عقلية معرفية معينة و ترك عمليات اخرى في الحال.(**سيدأحمد عثمان و فؤاد أبو حطب، 1978 في سليمان ابراهيم،2010 ص 69) (مسعد أبو الديار،2012 ص 48)**

و كما نعلم أن التعلم يتكون من عدّة عمليات معقّدة داخلية تحدث بين مرحلة تلقي المثيرات البيئية و استجابة الفرد لهذه المثيرات، و يطلق على هذه المثيرات البيئية التي تؤثر في الحواس مدخلات التعلم، و يطلق على استجابات الفرد مخرجات التعلم، أي أنّ نظرية تجهيز و معالجة المعلومات تحاول وضع تصورات و افتراضات تفسر العمليات التي تستقبلها الحواس، ثم تقوم بتجهيزها حتى تؤدي إلى مخرجات إستجابية **(جابر عبد الحميد، 1985 في سليمان ابراهيم،2010 ص 70)**

و يتم تعريف معالجة المعلومة على أنّها مجموعة من العمليات المعرفية التي تحدث بين المدخلات (المثيرات) و المخرجات (الاستجابات) التي تتأثر بالعديد من العوامل سواء منها البيولوجية (العصبية)، أو السيكولوجية لا سيما المعرفية منها التي يمكن تضمينها في مجموعة مراحل المعالجة المختلفة. كما و تمثل معالجة المعلومات مجموعة من الاجراءات التي تحدث عند تعرض الفرد للمثير حتى ظهور الإستجابة، و ينظر إلى كل عملية عقلية على أنّها إجراء ناشئ من المعلومات التي يتوصل إليها سواء من الإجراءات السابق حدوثها داخل إطار هذه العملية العقلية أو المثيرات ذاتها. **(فضل،1999 و الشرقاوي 1984 في مسعد أبو الديار،2012 ص 49)**

و بخصوص صعوبات التعلم فيرى هذا المدخل أنّ ذوي صعوبات التعلم يعانون قيوداً على عمليات نوعية لتجهيز المعلومات المرتبطة بمجالات معرفية محددة؛ و نظرا لأنّ عملية التعلم تجري في مستويات متتابعة يعتمد كل منها على الآخر ، و هذه المستويات تبدأ بالإنتباه ثم الإدراك ثم الذاكرة، فبعد الإنتباه يُدرك المثير، و يُتعرف، و يُسجّل في الذاكرة العاملة التي تستدعي الخبرات السابقة المتصلة بالموضوع من الذاكرة طويلة المدى، فكل هذه المكونات تعمل معاً في علاقة دينامية تفاعلية، و هذا يفقده التلاميذ ذوو صعوبات التعلم و لا سيما الذين يعانون اضطرابات الانتباه الإنتقائي و المتواصل للمعلومات، و كذلك اختفاء للمعلومات من الذاكرة العاملة و يكون نتيجة لذلك عدم

قدرتهم على مواصلة التحصيل الدراسي في المجالات الأكاديمية (**أبو هاشم، 1998 في مسعد أبو الديار،2012 ص 57)**

في هذا الصدد يوضح كل من **(Siegel & Ryan, 1999 ; Maisto & Sip , 1980 ; Stephen, 1984)** أن ضعف عمليات الذاكرة لدى ذوي صعوبات التعلم تتمثل في استراتيجيات المعالجة و التشفير التي تعد من المحددات الرئيسية لتشخيص صعوبات التعلم، و ذلك لأن المعالجة الجيّدة و التشفير المنظم يمكن الفرد من زيادة قدرته على تخزين المعلومات و إمكان استرجاعها، أي أنّها دالة للإستراتيجية التي يجهز و يعالج بها الفرد الوحدات المعرفية **(مسعد أبو الديار،2012 ص 58)**

و بالتالي ؛ و من خلال ما تم عرضه وضّحت نظرية معالجة المعلومات أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم تكمن مشكلتهم في أنهم يستخدمون استراتيجيات غير ملائمة عند مواجهة المهام الاكاديمية، و يركز هذا المدخل على كيفية استقبال المخ للمعلومات و من ثم تحليلها و تنظيمها، و في ضوء ذلك ترجع صعوبات التعلم - وفقا لهذا المدخل- إلى حدوث خلل أو إضطراب في إحدى العمليات التي قد تظهر في التنظيم أو الاسترجاع أو تصنيف المعلومات. **(محمد كامل ، 1999 في أمنية هارون، 2018 ص 38)**

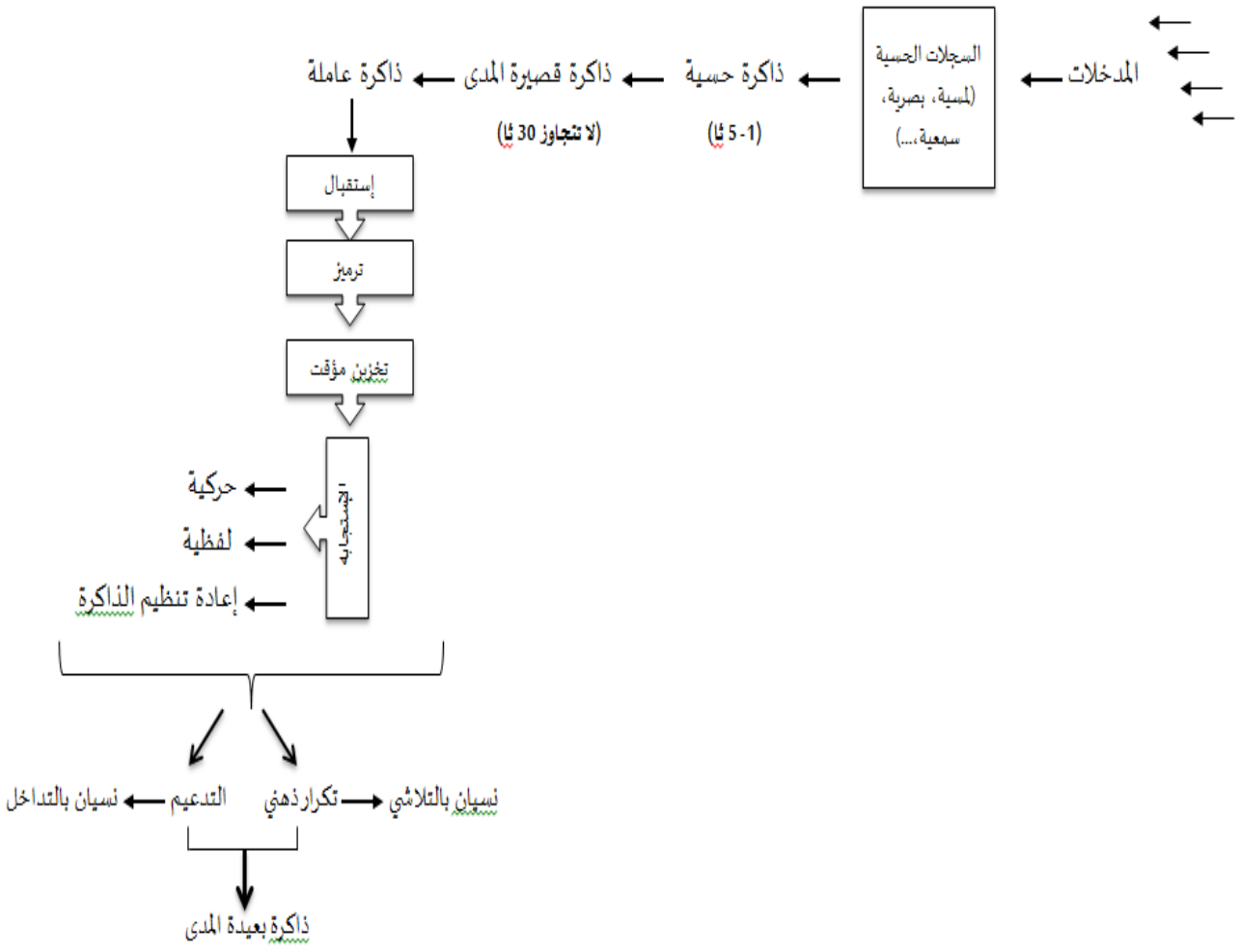

*** التعديل المعرفي السلوكي**

يضيف الإتجاه المعرفي السلوكي في الواقع خصائص المعرفة إلى النموذج السلوكي، و يركز المؤيدون للإتجاه المعرفي السلوكي في تناول صعوبات التعلم، على دور ما وراء المعرفة و الإيمان بأن الأفكار و المشاعر هي التي تحدد سلوكات الأفراد، و هذا يعني أن معلمي الأطفال ذوي صعوبات التعلم هم في حاجة إلى معرفة تلك الكيفية التي يفكر بها تلاميذهم حول الأشياء المختلفة، و مدى وعي هؤلاء التلاميذ بتفكيرهم.

هذا و تتضمن استراتيجيات التعديل المعرفي السلوكي كما يرى هالبرن و دونافي (2003) Halpen& Donaphey في **(هالاهان، كوفمان، لويد و ويس، 2007 ص 452)** تأكيداً قويا على تأثير الحديث الذاتي أو اللغة الداخلية (أي ما يقوله التلاميذ لأنفسهم، أو ما يفكرون فيه) كوسيلة ذاتية في توجيه السلوك العلني أو الظاهر؛ و عند تعليم الأطفال ذوي صعوبات التعلم يقوم المعلمون الذين يستخدمون هذا الإتجاه بمساعدة تلاميذهم كي يصيروا أكثر وعيا بالذات، و أن يستخدموا لغتهم في توجيه سلوكهم

رابعا: النموذج النمائي (التطوري)

يركز هذا النموذج على مدى ملائمة المهام التربوية لمستوى النضج المعرفي لدى الطفل، حيث يشير المهتمين بهذا التيار أن صعوبة التعلم ترجع بصفة عامة إلى تأخر نمو بعض العمليات المعرفية و التي تسبب فشلا في تعلم المواد الدراسية؛ حيث كما جاء في نظرية النمو العرفي لبياجيه و غيره و العلماء المعرفيين تواجد نظاما تطوّريا يجب أن يمر عليه الطفل لكي ينتقل من مرحلة نمو إلى أخرى، و أنّ أي تأخر في النمو المعرفي يؤدي إلى تأخر في الوصول إلى مستويات معرفية أعلى، و بالتالي فهي تعكس بطئاً في نضج العمليات البصرية، الحركية، اللغوية و كذا عمليات الإنتباه مما يؤدي إلى صعوبة التعلم